تقارير مؤتمرات

يوم دراسي حول: "مدارس ومعاهد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" نظمته جمعية العلماء المسلمين ومركز الفنون والثقافة الجزائر: ٨ جمادى الأولى ١٤٣٢هـ/ ١٢ أبريل ٢٠١١م

مولود عويمر *

نظمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومركز الفنون والثقافة يوماً دراسياً حول: "مدارس ومعاهد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، وذلك يوم الثلاثاء ٨ جمادى الأولى ١٤٣٢ هـ/ ١٢ أبريل ٢٠١١م بقصر رياس البحر الكائن قرب ساحة الشهداء بالجزائر العاصمة.

بدأت أعمال اليوم بجلسة افتتاحية؛ إذ رحب الأستاذ جمال سعداوي مستشار مدير مركز الفنون والثقافة بقصر رؤساء البحر بالحاضرين، وأشاد بالدور الريادي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في إحياء الدين واللغة العربية في الجزائر، على الرغم من كل مثبطات سلطة الاحتلال الفرنسي.

وتحدث الدكتور مولود عويمر المنسق العلمي للنشاط عن موضوع هذا اللقاء الفكري، والأهداف المرجوة منه، ونوّه بالتعاون المشترك بين الجمعية والمركز. ودعا المؤسسات والجمعيات الثقافية الجزائرية إلى الاستفادة من هذه التجربة لتفعيل العمل الفكري في البلاد.

وتحدث الشيخ محمد الأكحل شرفا؛ النائب الأول لرئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن أفكار هذه الجمعية ورجالها، واستحضر ذكرياته عن أستاذه الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي درس عليه مختلف العلوم الشرعية بجامع الأخضر بين ١٩٣٣ و١٩٤٠.

---

* دكتوراه دولة في التاريخ من جامعة باريس، أستاذ التعليم العالي في كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر. البريد الإلكتروني: Mouloud1968@yahoo.fr

تناولت الجلسة العلمية الأولى محور "التربية والتعليم في المشروع الإصلاحي لجمعية العلماء"، وترأسها الأستاذ التهامي مجوري؛ أمين المال في جمعية العلماء المسلمين. وبدأت الجلسة بورقة الدكتور عبد الرزاق قسوم أستاذ الفلسفة بجامعة الجزائر٢ المعنونة بـ: "التربية والتعليم في رسالة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، أكد من خلالها على أن الاهتمام المبكر بالتعليم لدى قادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وإصرارهم على ربطه بالتربية، هما سرّ نجاح رسالتهم ودعوتهم وتوفيقهم في إفشال المشروع الثقافي الاستعماري في الجزائر المدعّم بكل الوسائل.

وجاءت ورقة الأستاذ مراد قبال المدرس بجامعة البليدة بعنوان: "النظام التعليمي لمدارس جمعية العلماء"، ورأى فيها أن جمعية العلماء كانت تؤمن بأن نشر الإصلاح الديني والفكري لا يمكن أن يتخذ سبيله إلى عقول الناس، إلا إذا كان مصحوباً بالتعليم. ومن هنا كان فتح مدارس عربية حرة في مختلف المدن والقرى الجزائرية. وقدم المحاضر بعض الإحصائيات التي تؤكد ارتفاع عدد المدارس والتلاميذ والمعلمين بشكل مطّرد. وقد استمدت هذه المدارس مناهجها وبرامجها من مبادئ جمعية العلماء.

وعرض الأستاذ محمد العلمي السائحي؛ المكلف بالإعلام في جمعية العلماء، الاتجاه الإصلاحي لمدارس جمعية العلماء، وأشار إلى بعض ملامحها التنويرية. وذلك في ورقته المعنونة بـ: "الفكر الإصلاحي والتنويري لمدارس جمعية العلماء".

وتناولت الجلسة العلمية الثانية محور: "نماذج من مدارس ومعاهد جمعية العلماء". وترأسها الدكتور عمار الطالبي؛ نائب رئيس جمعية العلماء. وتضمنت أربع ورقات، بدأها الدكتور مولود عويمر؛ المكلف بالتراث والبحث العلمي في الجمعية بورقة عن "الجامع الأخضر في عصر الإمام ابن باديس". وبيّن فيها سيرورة المسجد ودوره في البناء الحضاري؛ إذ وضع ابن باديس لهذا الجامع نظاماً متكاملاً يشمل الجوانب التربوية والإدارية والمالية والصحية والاجتماعية. وقد كان هاجسه هو تحويل جامع الأخضر إلى كلية إسلامية يُعترَف بشهاداتها كبقية الكليات الإسلامية في العالم الإسلامي.

وجاءت الورقة الثانية بعنوان: "مدرسة الشبيبة الإسلامية ودورها في الحركة الإصلاحية" للأستاذة عفاف زقور من جامعة الجزائر.٢ وتحدثت فيها عن مدرسة الشبيبة الإسلامية، ودورها الرائد في التربية والتعليم، لا سيما في المدة التي أشرفت عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ إذ أدارها الشيخ محمد العيد آل خليفة لفترة طويلة، ودرّس فيها مجموعة من الأساتذة الأفذاذ أمثال: فرحات بن الدراجي، وباعزيز ابن عمر، ومحمد الهادي السنوسي، وجلول البدوي، وعبد الرحمن الجيلالي.

و لم تقتصر هذه المدرسة على تعليم البنين والبنات اللغة العربية، وبعض العلوم الشرعية، بل تقوم أيضاً بتعليم البنات فنون التدبير المنزلي.

وتكلم الأستاذ عبد الباسط قلفاط، من المركز الجامعي بخميس مليانة، عن موقع مدرسة دار الحديث في مواجهة المشاريع الفرنسية عموماً، وسياستها التعليمية الثقافية خاصة، وذلك في ورقته المعنونة: "دار الحديث بتلمسان ورسالة التعليم والإصلاح". ورأى الباحث أن هذه المؤسسة حققت خطوات مهمة في تطهير عقائد الإسلام وعباداته من أضرار الابتداع والممارسات السلبية للطرق الصوفية، كما كان لها الدور الرائد في ميادين التربية والتعليم وتوحيد الجهود لمواجهة الاستعمار الفرنسي.

وجاءت ورقة الباحث في التاريخ الأستاذ سعيد بودينة المعنونة بـ: "مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة ورسالة التربية والإصلاح". لتكشف عن الدور التربوي والإصلاحي، الذي قامت به مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، بوصفها واحدة من أبرز قلاع التربية والإصلاح في الجزائر؛ إذ شجعت على تعليم البنات مجاناً، وتكوينهن تكويناً إسلامياً صحيحاً، إدراكاً منها بدور المرأة في النهوض، كما اهتمت بتلاميذ المدارس الفرنسية، فخصصت لهم برنامجا دراسياً مناسباً يدرسون من خلاله المواد المرتبطة بمقومات الشخصية الوطنية مثل: اللغة العربية، وتاريخ وجغرافيا الجزائر، والتاريخ الإسلامي، حتى يرتبط هؤلاء منذ الصغر بهويتهم الوطنية وانتمائهم العربي الإسلامي.

وتعرضت الجلسة العلمية الثالثة إلى "البعد التنويري والوطني لمدارس ومعاهد جمعية العلماء". وترأسها عبد المجيد بيرم؛ الأمين العام لجمعية العلماء. وكانت الورقة الأولى بعنوان: "معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة والمسألة الوطنية". للأستاذ محمد دراوي من المركز الجامعي في خميس مليانة. وتحدث فيها عن معهد عبد الحميد بن باديس الذي تأسس سنة ١٩٤٧م بقسنطينة، ليكون استجابة ملحّة لتكوين تلك الأعداد الهائلة من الطلبة المتخرّجين من مختلف مدارس جمعية العلماء، ومحاولة لإرساء تعليم متميّز يحاكي المدارس الكبرى في المشرق والمغرب، كالأزهر والزيتونة والقرويّين. وكشف عن فلسفة المعهد المستمدة من فلسفة الإصلاح لجمعية العلماء. وأبرزت الورقة أن الوثائق والشّهادات الكثيرة في هذا المجال أشارت إلى مساهمة طلبة المعهد في الثورة التحريرية بقيادة العمل الثوري في مختلف الولايات والمناطق.

وتطرقت الدكتورة يمينة بشي؛ أستاذة الأدب العربي بجامعة الجزائر إلى جهود جمعية العلماء في النهوض بتعليم المرأة الجزائرية التي عاشت في محيط يسوده الجهل، والظلام، واستبداد المستعمر. وذلك في ورقتها المعنونة بـ: "جهود جمعية العلماء في النهوض بتعليم المرأة"؛ إذ رأت أن رجال الحركة الإصلاحية؛ كتّاباً وشعراء تولوا طرح هذه القضية بالبحث عن أسبابها، والحلول الممكنة لإخراج المرأة الجزائرية من دائرة التخلف و الجهل، من خلال برنامج عمل ورؤية خاصة في طبيعة ونوعية التعليم الذي ستتلقاه الفتاة الجزائرية، من أجل تفعيل دورها في بناء المجتمع. لذلك فتحت جمعية العلماء مدارسها للبنات مجاناً، ودعت الأولياء إلى الاهتمام بتعليم بناتهم تعليماً يتوافق مع قيمها وتقاليدها وفطرتها.

وتحدث الدكتور لزهر بديدة؛ أستاذ التاريخ المعاصر بجامعة الجزائر٢ عن مكانة الوعي الوطني في مدارس جمعية العلماء. في ورقته المعنونة بـ: "مكانة الوعي الوطني في مدارس جمعية العلماء"؛ إذ كشف عن حرص الجمعية في برامجها على ترسيخ الهوية العربية الإسلامية للتلاميذ، وتوجيههم نحو حب الوطن بدراسة تاريخهم والتعرف على

أبطاله، والاعتزاز برموزه المادية والمعنوية. وقد تفطنت مبكرة السلطة الاستعمارية لذلك، فمارست مضايقات على هذه المدارس بسن قوانين مجحفة، واعتقلت بموجبها العديد من المعلمين بذريعة التدريس دون رخصة.

وناقشت الندوة الفكرية التي أدارها الدكتور مولود عويمر الإشكالية الآتية: كيف نستفيد اليوم من تجارب مدارس ومعاهد جمعية العلماء؟ وقد شارك فيها كل من الدكتور سعيد شيبان (وزير الشؤون الدينية والأوقاف السابق)، والدكتور عمار الطالبي والدكتور عبد المجيد بيرم. وأشار المتداخلون إلى نجاح تجارب مدارس جمعية العلماء بفضل مناهجها الواضحة والمتوافقة مع قيم الجزائريين، والمتجاوبة مع آمالهم في التخلص من الجهل والفقر والاستعباد. فضلاً عن وقوف الشعب إلى جانبها مادياً ومعنوياً. فهذه المدارس قامت على الأوقاف ورعاية المحسنين. وبناء عليه ينبغي إعادة إحياء تلك الأسس والقيم لبناء جيل المستقبل القادر على صنع نهضة جديدة.

وقد قامت إدارة اليوم العلمي بتخصيص جلسة لتكريم أحد علماء الجزائر، وهو الأستاذ محمد حسن فضلاء؛ إذ ألقيت فيها كلمات تناولت مناقب المحتفى به، وتناوب على إلقاء الكلمات كل من الأستاذ زبير طوالبي؛ المكلف بالتنظيم في جمعية العلماء. وزوجة الأستاذ محمد؛ إذ شكرت المنظمين على هذه الفعالية، وأثنى كل من الأستاذين عبد الحميد فضلاء وباديس فضلاء على الجهود التي قام بها عمهما في مجال التربية والتعليم. وقام الدكتور عمار الطالبي بتسليم العائلة شهادة تكريم للجهود الحضارية التي قام بها الأستاذ محمد فضلاء.

وقد رشح عن هذا اليوم العلمي أفكار عديدة تمثلتها التوصيات الآتية:

- توجيه الباحثين إلى إنجاز دراسات أكاديمية حول مدارس ومعاهد جمعية العلماء

- دعوة المشرفين على البرامج التعليمية والمناهج التربوية إلى الاستفادة من تجارب مدارس جمعية العلماء وإنجازاتها المختلفة

– إعداد وإنجاز أفلام وأشرطة وثائقية، تسهم في التعريف بمدارس ومعاهد جمعية العلماء في داخل الوطن وخارجه

– ضرورة التعاون بين جمعية العلماء والجمعيات الثقافية والمؤسسات العلمية لمزيد من النشاط الثقافي والحراك الفكري

– الدعوة إلى عقد يوم دراسي عن نوادي جمعية العلماء ورسالتها الإصلاحية والتنويرية

– طبع أعمال اليوم العلمي في نسخ ورقية ورقمية، وتوزيعها على المؤسسات الثقافية والجامعية لتعم الفائدة.